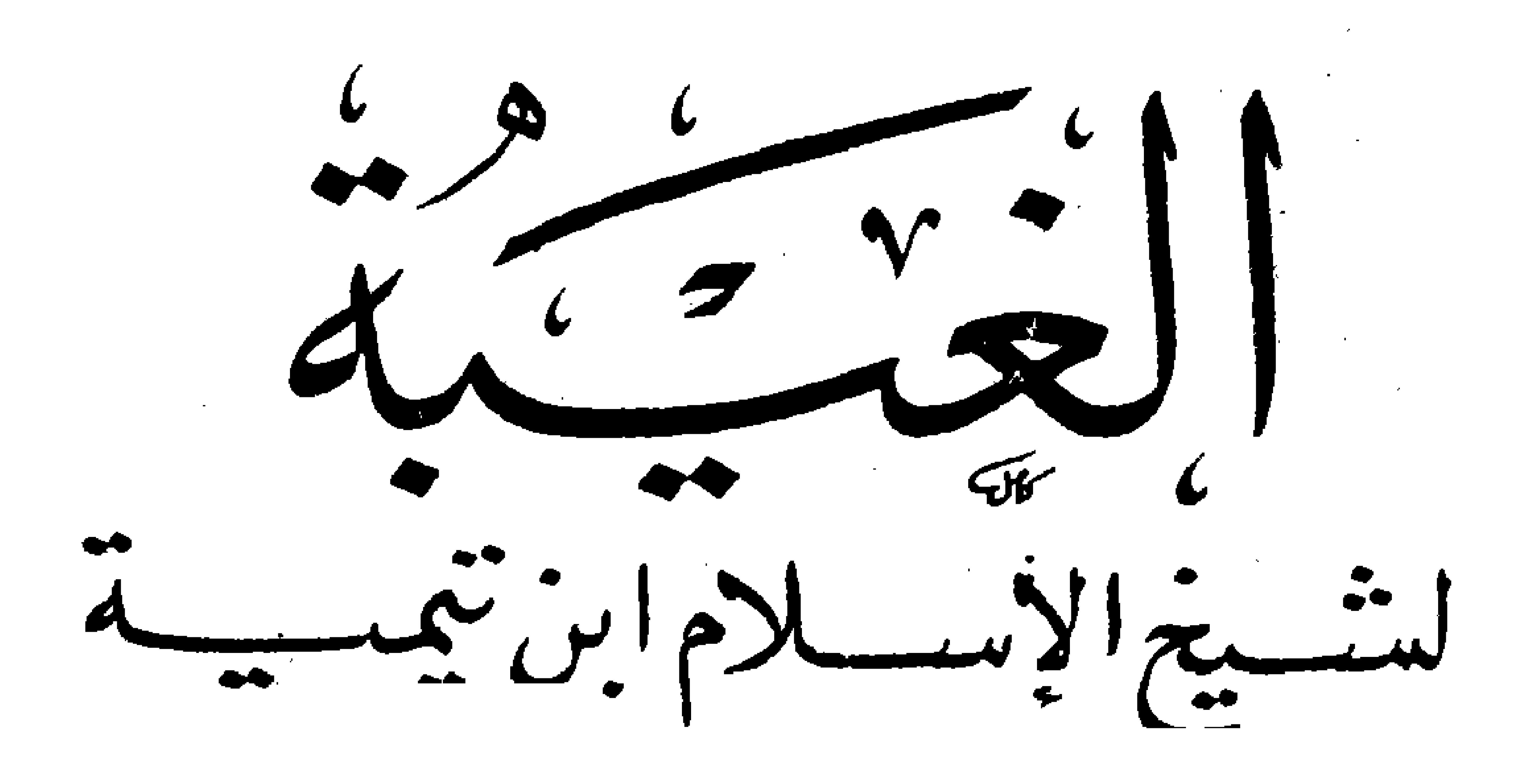


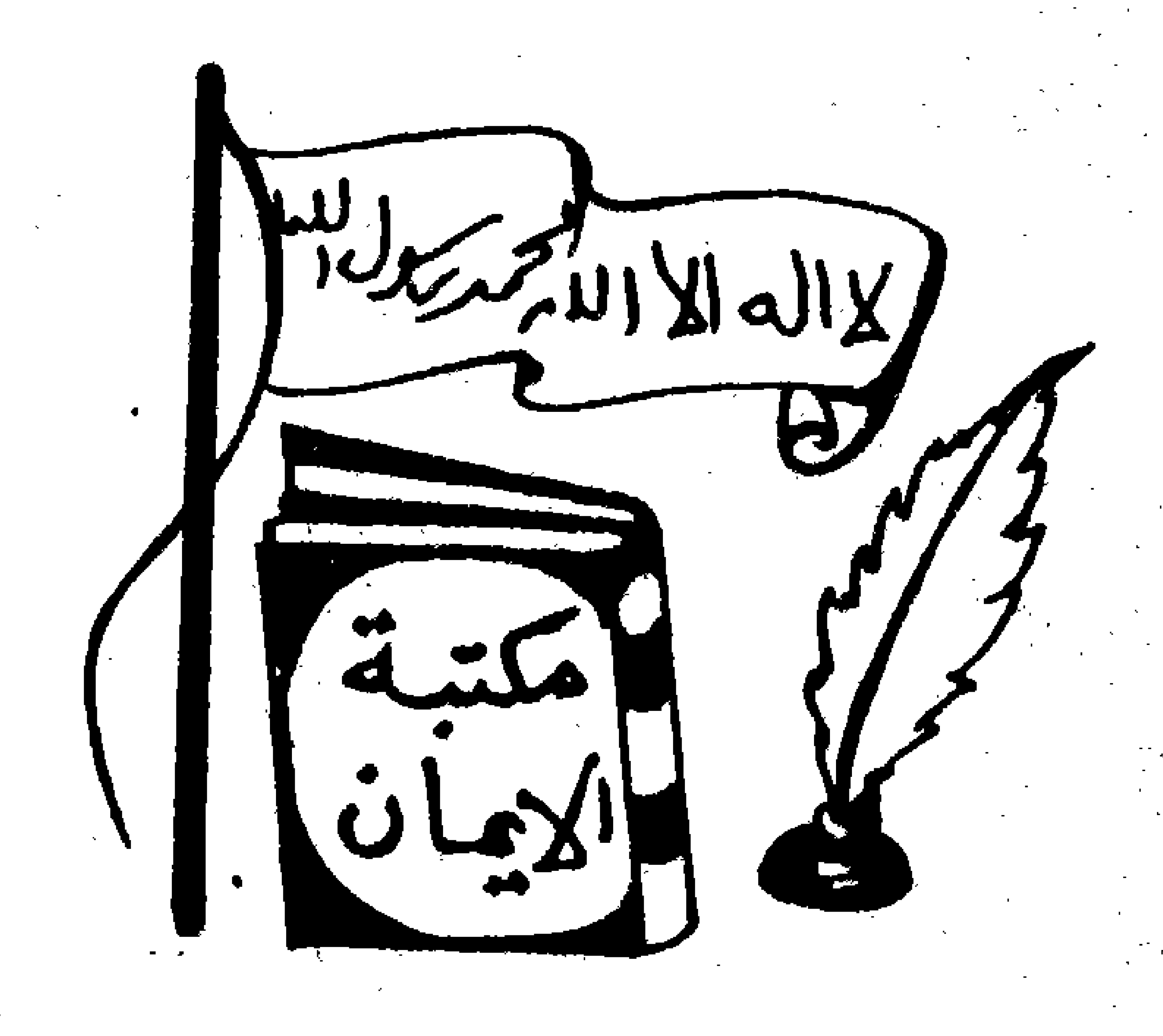
تقديم وتعليق

الأستاذ منير السيد

مكتبة الإيمان

للنشر والتوزيع

الأسكندرية / آخر ترام النزهة شارع قنال المحمودية



مكتبة الإيمان

للنشر والتوزيع

الإسكندرية - آخر ترام النزهة شارع قنال المحمودية

صاحبها ومديرها : يسرى محمد عبدالله

تقدم الاقتراحات والآراء على العنوان السابق

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد

قال تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ (سورة ق ١٧، ١٨)

إنى لأقف أمام هاتين الآيتين متعجباً لأمر ذلك الإنسان المسكين وقد تجاهل ما قال ربه فى كتابه العزيز ... وقد تناسى وربما سمع وعلم ولكنه لم يستوعب معناها .

إن لهذه السورة (سورة ق) تأثيراً فى النفوس ووقعٌ فى القلوب . وبالأخص هاتين الآيتين اللتين يذكر ان المسلم بما يخرج من لسانه . وقد أخبر سبحانه بأن لكل أنسان ملكين موكلين **﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ﴾** يعنى الملكيْن اللذين يكتبان عمل الإنسان ، وهذان الملكان مترصدان أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال وظيفتهما كتابة كل ما يخرج من أبن آدم من كلمة أو حركة **﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾**

قال تعالى : **(وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون)**[١]
وظاهر الآية أن الذى يكتب على الأنسان كل شيء من خير وشر .

روى الأمام أحمد ، عن بلال بن الحارث المذنى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة فى سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه »[٢] .

---

(١) سورة الإنفطار الآيات ١٠ : ١٢

(٢) رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه

قال ابن عباس فى :

﴿ مَا يَلفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ يكتب كل ما تكلم به من خير وشر حتى أنه ليكتب قول أكلت ، شربت ، ذهبت ، جئت ، رأيت حتى إذا كان يوم الخميس عُرض قوله وعمله فأقَّر منه ما كان فيه من خير أو شر . وذكر الأمام أحمد أنه كان يئن فى مرضه ، فبلغه عن طاووس أنه قال :

(يكتب الملك كل شيء حتى الأنين)

فما بالك أيها الأخ المسلم : « بالغيبة »

بعد أن عرفت أن معك ملكين يكتبان عليك الأقوال والأفعال حتى الأبتسامة الصغيرة التى تتحرك بها الشفتان تكتب عليك .

- يامن تترك العنان لنفسك ، ألا ذكرتها بهذا المعنى من كتاب الله !
- يامن تغتاب الآخرين لرضا أغراض فى نفسك أما علمت أن الله مطلعٌ عليك ؟
- يامن تغتاب الآخرين ، أما علمت أن هذا يحكّم الذى أغتبته فى حسناتك يوم القيامة .
- يامن أقترفت هذا او ذاك ألا قرأت هذا الحديث المتفق عليه ، قال رسول الله ﷺ « من كانت لأخيه عنده مظلمه فى عرض أو مال فليستحلها منه قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار ولا درهم . إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت من سيئاته »
- بلغ الحسن البصرى :

رجل فقال له : بلغنى أنك تغتابنى ، فقال له الحسن : ما بلغ قدرك أن أحكمك فى حسناتى يوم القيامة .

- يا أخى في الله :

الغيبة داء وبيل عم وأنتشر فى عصرنا هذا . أصبح المسلم لايراعى لحق أخيه حرمة ولا يلتمس له عذراً وبدلًا من أن يلتمس له الأعذار يلصق به الأخطاء حتى يبيح لنفسه أن ينال منه .

- (الغيبة) إِحدى رسائل شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ، والشيخ ابن تيمية يعرف له علمه وفضله فى خدمة هذا الدين ورفع لوائه .

إنه دائما يسعى لأقامة دين الله فى الأرض ، فهذه الرسالة ليس معناها أيضاح ذلك الداء فقط ، بل إنها من وسائل تربية الفرد المسلم . إذ بها يعرف المسلم

كيف يحفظ لسانه وكيف يلتمس لأخيه المعذرة ،

وبأمتناع المسلم عن الغيبة والمشاركة فيها تصفو النفوس وتزداد أواصر الصلة بين المسلمين .

وإنى لمشفق على رجل تورمت قدماه من كثرة الصلاة وقد صام نهاره وأنفق ما لديه من مال فى سبيل الله .. ولكنه أتى يوم القيامة وجعل الله صلاته وصيامه وإنفاقه هباءً منثورا ، لأنه قد شتم هذا وأكل مال هذا وأغتاب هذا فأصبح من المفلسين .

فأحذر أخى الفاضل أن تكون من المفلسين وإتق الله عز وجل وأحرص أن يكون لسانك رطباً بذكر الله ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ وندعوه سبحانه أن ينقى السنتنا من الكذب .

وأعيننا من الخيانة

وأعمالنا من الرياء

وقلوبنا من النفاق

إنه نعم المولى ونعم النصير

فى ٨ شعبان ١٤٠٧ هـ

الناشر

يسرى محمد عبد الله

مقدمة الأستاذ / منير السيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ... وبعد

ففي هذه الرسالة الهامة لشيخ الإسلام ابن تيمية نجده — كعادته — يربط بين الموضوعات التي تبدو متباعده متفرقه ، فإذا هي في أذهاننا موصولة متكاملة كما ينبغي أن تكون .

فما أن يُسئل الشيخ في مسألة — مهما بدت صغيرة أو فرعية حتى نراه حريصاً على تتبع منابتها ، كاشفاً لنا عن جذورها وصلتها بأصول الشرع فإذا الشريعة الإسلامية — في مؤلفاته — صورة متكاملة مترابطة حيّة موحية تشف عن سعة فقه المؤلف ، وعمق ادراكه لخصائص هذا الدين وأهدافه ، وطريقته المتميزة في تتبع إنحرافات النفس البشرية ، ومعالجتها برفق وحزم في آن وبالقدر الكافي في كل مرة .

وحينما نطالع هذه الرسالة ، فلابد وأن نتذكر الكثير من عوامل التفرقة والتسيب التي تعاني منها حركة الدعوة الإسلامية ، ومن ثم نحاول الإنتفاع بذلك الزاد الوفير من فقه السلف وخبرتهم الفائقة في تشخيص أدواء النفس البشرية ، وتحديد الدواء الناجع حتى نتفادى ما يقوم به الأدعياء من ممارسات يزعمون أن فيها العلاج الحاسم لمشكلات أمتهم ، وهم — ربما لايدرون أنهم هم أنفسهم بعض ما تعاني منه الأمة الإسلامية مثلما قال القائل :

« وأخف من بعض الدواء الداء »

• موضوع الرسالة :

وتتحدث هذه الرسالة عن آفة من آفات اللسان لها أثر كبير فى إشاعة التباغض والفرقة بين المسلمين وهى (الغيبة) ، وهى كما عرّفها الرسول ﷺ : ذكرك أخاك ـــ فى غيابه ـــ بما يكره ، ولو كان فيه ما تقول ..

فالنفس البشرية تكره الذم ، ولو كانت تعلم أنها تستحقه ، لأن الله عز وجل فطرها على أن تكون كريمة عزيزة سالمة من كل ما يُشينها والنفس فى إرادتها للخير وسعيها له ، وحتى فى خضوعها لربها لا تسلم من الخطأ والانحراف ولحظات الضعف البشرى بحكم النقص المركب فى طبيعتها .

• منهج الإسلام فى تقويم الأنحراف :

والإسلام حينما يتصدى لتقويم لتقويم النفس وعلاج إدوائها نجده يحرص أشد الحرص على الكرامة الانسانية وعلى تمكين الإنسان من استئناف دوره السامى فى طاعة ربه وعمارة الحياة على وجه الأرض .

• أمثلة حيّـة

ـ حينما يريد عمر أن يقتل حاطب بن أبى بلتعه ، الذى أفشى لأهل مكه خبر قدوم جيش الفتح ، نجد الرسول القدوة ﷺ . يقول له : دعه ياعمر ، وما يدريك لعل الله اطّلع إلى أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

ـ وحينما يتولى بعض أصحاب النبى ﷺ فى أُحدُ ، ويتركون نبيهم عرضة للقتل ، وبعد أن تنكشف الغمّة ، يجىء البيان القرآنى رفيقا حانيا حريصاً على الفئة المؤمنة ، مشيراً بالتلميح إلى سبب وقوعهم فيما تورطوا فيه من التقصير .

فيقول الحق جل وعلا : ﴿ **إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ، إنما استذلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم . إن الله غفور رحيم** ﴾[٣] وخلاصة القول أن مواجهة الخطأ لايكون بالفضيحة ولا بالتعيير ـــ حرصاً على الكيان الإنسانى المكرّم من الله عز وجل ـــ وإنما يكون بالأسرار بالنصح وأخذ الجوانب الأيجابية للمخطىء فى الأعتبار .

• بعض أسباب الغيبة :

ومن اسباب الوقوع فى الغيبة ، رغبة الواقع فيها فى إبراز عيوب الآخرين كطريقة من طرق تزكية نفسه بأنها خالية من هذه العيوب ، بما يعنى أن رغبته فى

(٣) سورة أل عمران آية ١٥

تزكية نفسه وبروزها بين الناس صارت أقوى من حرصه على إنصاف الآخرين ، ممايشير بنقص شديد فى التربية ، واعوجاج بيِّن فى السلوك ، ومن الأسباب أيضا غضبه وحقده على المغتاب ، فيكون ذكر مساوئه تشفيا وأنتقاما ..

• تهيئة النفس للإستقامة :

والإسلام دائما يعالج كل هذه الأنحرافات حينما يُعنى أشد العناية بسد الذرائع المفضية إلى إرتكاب المحظورات ، ونجده يدرب النفس تدريباً مستمرا على الضبط والتحكم فى نوازعها ورغباتها من خلال برنامج متكامل من التزكية : بالقدوة والعبادات وبالترغيب والترهيب ، والتذكير المستمر بآلاء ونعم المولى عز وجل على عباده مما يستجيش حياء النفس البشرية ، فلا تجترىء على معصية ربها وإغضابه .

على أن حرص الإسلام على صيانة الكرامة الإنسانية ومعالجة الخطأ والانحراف برفق ، ليس معناه ترك المسيء يعبث بمصالح المجتمع ويتمادى فى خطئه مستنداً إلى إستغلال سيء لسماحة الإسلام ، فالإسلام ينطلق فى رفقه وسماحته من فهم عميق بطبيعة النفس البشرية ، كما ينطلق أيضاً من قدرة حازمة على مواجهة الإصرار على الخطأ وردع المستهترين بمصالح المجتمع ، ومنع ضعاف النفوس والذين فى قلوبهم مرض من الأجتراء على حدود الله .

• متى تباح الغيبة ؟

ولقد جعل الإسلام العقوبة هى آخر الدواء حينما لا تجدى الوسائل الأخرى ..

ـ فالظالم المتعمد ظلم الناس يعطيهم الحق فى أغتيابه حينما يضطرون لشكايته لمن يملك إعانتهم فى دفع الظلم عن أنفسهم قال النبى ﷺ « مطل الغنى ظلم » متفق عليه . وكما سألت هند بنت عتبه الرسول ﷺ عما إذا كان من الجائز أن تأخر من مال زوجها أبى سفيان دون علمه لأنه بخيل ولا يعطيها كفايتها ، فأفتاها النبى بجواز ذلك .

ـ ومنها التحذير من أصحاب البدع والضلالات .

ـ ومنها فضح الفسّاق المصرّين على الكبائر .

ـ ومنها المشورة فالمستشار مؤتمن كما إستشارت فاطمة بنت قيس النبى ﷺ فى زواجها من أبى الجهم ومعاوية بن أبى سفيان فقال النبى ﷺ :

« أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه »

وهكذا نلمح فى هذه الومضة السريعة بعض معالم المنهج الإسلامى فى علاجه لتقلبات النفس البشرية وإنحرافاتها علاجاً يحفظ رصيدها من الخير ، ويعينها على إستئناف السير فى طريق الخير ، ويحميها من العبث بكرامتها .

.. هكذا نستشعر عظم هذا الدين ونلمس حُنُوَّه على الإنسان وإدراكه العميق لخبايا النفس البشرية .

وصدق رب العباد .

﴿ .. إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق ؟ وهو اللطيف الخبير ﴾
(الملك : ١٣ - ١٤)

منير السيد

الرسالة الأولى

مسئلة فى الغيبة :

هل تجوز على أناس معينين أو يعين شخص بعينه ؟ وما حكم ذلك ؟

أفتونا بجواب بسيط ليعلم ذلك الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، ويستمد كل واحد بحسب قوته بالعلم والحكم .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، أصل الكلام فى هذا أن يعلم أن الغيبة هى كما فسرها النبى ﷺ فى الحديث الصحيح لما سئل عن الغيبة فقال : « هى ذكرك أخاك بما يكره » قيل : يارسول الله أرأيت ان كان فى أخى ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » [1].

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة كتاب الأدب باب تحريم الغيبة جزء ١٦ صفحة ١٤٢ .

بين ﷺ الفرق بين الغيبة (٢) والبهتان (٣) وان الكذب عليه بهت له كما قال سبحانه :

﴿ ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾(٤) ..

وقال تعالى :

﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ (١) ..

وفى الحديث الصحيح « ان اليهود قوم بهت » (٢) .

فالكذب على الشخص حرام كله . سواء كان الرجل مسلماً أو كافراً ، براً أو فاجراً . لكن الافتراء على المؤمن أشد بل الكذب كله حرام .

* * *

(٢) الغيبة : من الاغتياب واغتاب الرجل اغتياباً اذا وقع فيه . وهو أن يتكلم خلف انسان مستور بسوء أو بما يغمه لو سمعه وان كان فيه فان صدقا فهو غيبة وان كان كذباً فهو البهت والبهتان . ــ لسان العرب مادة « غيب » .

(٣)البهتان : من بهت الرجل يبهته بهتاً وبهتاناً فهو بهات أى قال عليه ما لم يفعله فهو مبهوت والبهتان : افتراء .

لسان العرب مادة « بهت »

(٤) سورة النور الآية : ١٦ .

(١) سورة الممتحنة الآية : ١٢ .

(٢) هو من كلام عبد الله بن سلام لرسول الله ﷺ ابن كثير فى البداية والنهاية فى قصة اسلام عبد الله بن سلام [٣ ، ٢٠٨] وقال رواه البخارى عن عبد الله بن أبى بكر .

المعاريض[3]

ولكن يباح عند الحاجة الشرعية « المعاريض » وقد تسمى كذباً لأن الكلام يعنى به المتكلم معنى ، وذلك المعنى يريد أن يفهمه المخاطب ، فإذا لم يكن على ما يعنيه فهو الكذب المحض . وإن كان على ما يعنيه ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب فهذه المعاريض ، وهى كذب باعتبار الأفهام ، وان لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة ، ومنه قول النبى ﷺ « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلهن فى ذات الله : قوله لسارة أختى ، وقوله « بل فعله كبيرهم هذا » وقوله : « إنى سقيم » [4] وهذه الثلاثة معاريض ، وبها احتج العلماء على جواز التعريض للمظلوم ، وهو أن يعنى بكلامه ما يحتمله اللفظ وإن لم يفهمه المخاطب ، ولهذا قال من قال من العلماء إن ما رخص فيه رسول الله ﷺ إنما هو من هذا كما فى حديث أم كلثوم بنت عقبة عن النبى ﷺ أنه قال : « ليس بالكاذب الذى يصلح بين الناس فيقول خيراً أو

---

(٣) المعاريض : التورية بالشىء عن الشىء والمعاريض جمع معراض من التعريض الذى هو خلاف التصريح . لسان العرب مادة « عرض »

(٤) رواه البخارى والامام أحمد عن أبى هريرة

ينسى خيراً » (٥) ولم يرخص فيما يقول الناس أنه كذب إلا فى ثلاث : فى الاصلاح بين الناس وفى الحرب وفى الرجل يحدث امرأته » (١).

قال فهذا كله من المعاريض خاصة ولهذا نفى عنه النبى ﷺ اسم الكذب باعتبار القصد والغاية .

* * *

نماذج من التعريض

كما ثبت عنه ﷺ أنه قال : « الحرب خدعة » وان كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها ومن هذا الكتاب « قول الصديق فى سفر الهجرة عن النبى ﷺ هذا الرجل يهدينى السبيل » (٢). وقول النبى ﷺ للكافر السائل له فى غزوة

---

(٥) رواه مسلم كتاب الأدب باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه .

(١) رواه مسلم باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه ١٦ / ١٥٧ من حديث أم كلثوم ومعنى الحديث : قال الامام الغزالى « الكذب لدفع الضرر قد رخصه الشرع ولكن الحد فيه : أن الكذب محذور ولو صدق فى مواضع الترخيص تولد عنها محذور فينبغى أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط ، فاذا علم أن المحذور الذى يحصل بالصدق أشد وقعاً من الكذب فى الشرع . فله الكذب والعكس بالعكس . وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما . وعند ذلك فان الميل الى الصدق أولى » . انتهى من الاحياء مختصراً ٩ / ٤٣

(٢) رواه البخارى عن أنس .

بدر « نحن من ماء » [٣].

وقوله للرجل الذى حلف على المسلم الذى أراد الكفار أسره « انه أخى » وعنى اخوة الدين . وفهموا منه اخوة النسب ، فقال النبى ﷺ « إن كنت لأبرهم وأصدقهم المسلم أخو المسلم » .

* * *

الفرق بين الغيبة والبهتان

والمقصود هنا أن النبى ﷺ فرق بين الاغتياب وبين البهتان ، وأخبر أن المخبر بما يكره أخوه المؤمن عنه إذا كان صادقاً فهو المغتاب ، وفى قوله ﷺ : « ذكرك أخاك بما يكره » موافق لقوله تعالى :

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾ [١]..

فجعل جهة التحريم كونه أخاً اخوة الإيمان ، ولذلك

---

(٣) رواه ابن اسحاق عند ابن كثير فى البداية والنهاية ٣ / ٢٦٤ .

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

تغلظت الغيبة بحسب حال المؤمن ، فكلما كان أعظم إيماناً كان اغتيابه أشد .

* * *

الهمـز واللمـز

ومن جنس الغيبة الهمز واللمز ، فإن كلاهما فيه عيب الناس والطعن عليهم كما فى الغيبة .

لكن الهمز هو الطعن بشدة وعنف ، بخلاف اللمز فإنه قد يخلو من الشدة والعنف ، كما قال تعالى :

﴿ ومنهم من يلمزك فى الصدقات ﴾ [٢]..

أى يعيبك ويطعن عليك وقال تعالى :

﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [٣]..

أى لا يلمز بعضكم بعضا .

وقال تعالى :

﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ [١]..

---

(٢) سورة التوبة آية : ٥٨ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١١ .

(١) سورة القلم آية : ١١ .

وقال تعالى :

﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ [٢]..

* * *

الصور المرضيّة فى المدح والذم [٣]

إذا تبين هذا فنقول : ذكر الناس بما يكرهون هو فى الأصل على وجهين :

(أحدهما) ذكر النوع . (والثانى) ذكر الشخص المعين الحى أو الميت .

أما الأول فكل صنف ذمه الله ورسوله يجب ذمه وليس ذلك من الغيبة كما أن كل صنف مدحه الله ورسوله يجب مدحه ، وما لعنه الله ورسوله لعن كما أن من صلى الله عليه وملائكته يصلى عليه ، فالله تعالى ذم الكافر والفاجر والفاسق والظالم والغاوى والضال والحاسد والبخيل والساحر وآكل الربا وموكله والسارق والزانى والمختال والفخور والمتكبر الجبار وأمثال هؤلاء ، كما حمد المؤمن التقى والصادق والبار

(٢) سورة الهمزة آية : ١ .

(٣) هى الصور التى يدخلها الله ورسوله .

والعادل والمهتدى والراشد والكريم والمتصدق والرحيم وأمثال هؤلاء ، ولعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه ، والمحلل والمحلل له ، ولعن من عمل عمل قوم لوط ، ولعن من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً ، ولعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومشتريها وساقيها وشاربها وآكل ثمنها ، ولعن اليهود والنصارى حيث حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا أثمانها ، ولعن الله الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات من بعد ما بينه للناس . وذكر لعنة الظالمين .

والله هو وملائكته يصلون على النبى ويصلون على الذين آمنوا . والصابر المسترجع (أى القائل عند وفاة أحد له أجرنا فى مصيبتنا وأبدلنا خيراً منها) عليه صلاة من ربه ورحمة ، والله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير ويستغفر له كل شىء حتى الحيتان والطير ، وأمر الله نبيه أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات .

فإذا كان المقصود الأمر بالخير والترغيب فيه والنهى عن الشر والتحذير منه فلابد من ذكر ذلك ولهذا كان النبى ﷺ إذا بلغه أن أحداً فعل ما ينهى عنه يقول : « ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله ؟ من اشترط

شرطاً ليس فى كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط » . « ما بال رجال يتنزهون عن أشياء أترخص فيها ؟ والله انى لأتقاكم لله وأعلمكم بحدوده » ، « ما بال رجال يقول أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ؟ ويقول الآخر أما أنا فأقوم ولا أنام ؟ ويقول الآخر : لا أتزوج النساء ويقول الآخر : لا آكل اللحم ؟ لكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم ؟ فمن رغب عن سنتى فليس منى ﴾ [1].

* * *

قصر المدح والذم على النص

وليس لأحد أن يعلق الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة والصلاة واللعن بغير الأسماء التى علق الله بها ذلك مثل أسماء القبائل والمدائن والمذاهب والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ ونحو ذلك مما يراد به التعريف

---

(١) رواه أحمد عن عائشة .

صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٢٨) .

حديث « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا » .. ، رواه أحمد عن عائشة وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٨٠٨) .

كما قال تعالى :

﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وَجعلناكم شعوباً وقبائل لتعاوفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [1]..

وقوله تعالى :

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [2]..

وقال تعالى :

﴿ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً ﴾ [3]..

وقد قال ﷺ « إن آل فلان ليسوا لى بأولياء إنما ولي الله وصالح المؤمنين »[4] .

وقال : « إلا إن أوليائى المتقون حيث كانوا ومن كانوا » [5] وقال : « إن الله أذهب عنكم عبية [6] الجاهلية

(١) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(٢) سورة يونس آية : ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) سورة مريم آية : ٦٣ .

(٤) حديث ألا أن .... رواه البخارى فى كتاب الأدب باب « يبل الرحم ببلاها » .

(٥) رواه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة عن معاذ بن جبل رقم (٢١٢) قال الألبانى فى التخريج صحيح الأسناد (١ / ٩٣) .

(٦) العبية . والعيبة : الكبر والفخر فهى من التعيين لأن المتكبر ذو تكلف وتعينة ـ

وفخرها بالآباء . الناس رجلان : مؤمن تقى ، وفاجر شقى ، الناس من آدم وآدم من تراب » [٧] وقال :

« إنه لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى » [١].

فذكر الأزمان والعدل بأسماء الإيثار والولاء والبلد والانتساب إلى عالم أو شيخ إنما يقصد بها التعريف به ليتميز عن غيره .

* * *

لمن تكون الموالاة والمعاداة

فأما الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة فإنما تكون بالأشياء التى أنزل الله بها سلطانه ، وسلطانه كتابه ، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أى صنف

= خلاف المسترسل على سجيته .

لسان العرب مادة « عيب »

(٧) رواه أبو داوود عن أبى هريرة كتاب الأدب باب التفاخر بالأنساب .

(١) رواه الامام أحمد فى خطبة الوداع وقال عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتى نقلا عن الفتح الربانى (١٢ / ٢٢٧) أورده البيهقى وقال رواه أحمد ورجاله ورجال الصحيح ورواه البيهقى عن جابر بن عبد الله .

كان ، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أى صنف كان ، قال تعالى :

﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ﴾ (٢)..

وقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . بعضهم أولياء بعض ﴾ (٣)..

وقال تعالى :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ (٤)..

وقال تعالى :

﴿ لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ (١)..

وقال تعالى :

﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا ﴾ (٢)..

(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .

(٣) سورة المائدة آية : ٥١ .

(٤) سورة التوبة آية : ٧١ .

(١) سورة الممتحنة آية : ١ .

(٢) سورة الكهف آية : ٥٠ .

وقال تعالى :

﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [٣]..

* * *

تفاوت درجات الايمان لا يخرج من الايمان والمعصية لا تنفى الاخوة

ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطى من الموالاة بحسب إيمانه ومن البغض بحسب فجوره ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصى كما يقوله الخوارج [٤] والمعتزلة [٥]، ولا يجعل الأنبياء والصديقون والشهداء

(٣) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

(٤) الخوارج هى فرقة سميت بذلك لخروجهم على الامام على يوم الحكمين حين كرهوا التحكيم وقالوا : لا حكم الا الله . تعريضاً بسبب على رضى الله عنه وخرجوا عن قبضته ــ البرهان للسكسكى ص ٩ .

(٥) المعتزلة : سموا بذلك لاعتزالهم عن أقوال المسلمين فان الناس كانوا مختلفين فى مرتكبى الكبائر . فقال بعضهم هم كافرون . وقال بعضهم هم مسلمون وقال بعضهم هم مؤمنون بما معهم من الايمان . فأحدث وأصل بن عطاء « مؤسس المعتزلة » قولا رابعاً وقال « ليسوا بمؤمنين ولا كافرين » وأعتزل المسلمين . ــ البرهان ص ٢٦ .

والصالحون بمنزلة الفساق فى الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة ، قال تعالى :

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرين فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ .. .

إلى قولـه تعالى :

﴿ انما المؤمنون إخوة ﴾[1] ..

فجعلهم إخوة مع وجود الإقتتال والبغى ، وقال تعالى :

﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ ؟[2]..

وقد قال تعالى :

﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾[3]..

فهذا الكلام فى الأنواع .

* * *

(١) سورة الحجرات الآية (٩ ، ١٠) .
(٢) سورة ص آية : ٢٨ .
(٣) سورة النور آية : ٢ .

شروط اظهار عيوب شخص بعينه

وأما الشخص المعين فيذكر ما فيه من الشر فى مواضع :

منها : المظلوم له أن يذكر ظالمه بما فيه إما على وجه دفع ظلمه واستيفاء حقه كما قالت هند : يارسول الله إن أبا سيفان رجل شحيح وانه ليس يعطينى من النفقة ما يكفيني وولدى . فقال لها النبى ﷺ :

« خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » [٤] .

كما قال ﷺ : « لَيّ الواجد يحل عرضه وعقوبته » [١] وقال وكيع : عرضه شكايته وعقوبته حبسه ، وقال تعالى :

﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ﴾ [٢] ..

وقد روى :

إنها نزلت فى رجل نزل بقوم فلم يقروه . فإذا كان هذا فيمن ظلم بترك قراه الذى تنازع الناس فى وجوبه وان كان

---

(٤) رواه مسلم فى كتاب الأقضية عن عائشة ١٢ / ٧ .

(١) رواه أبو داوود والنسائى وابن ماجة من حديث الشريد ، قال الحافظ العراقى فى تخريجه على الاحياء (٩ / ٦٦) اسناده صحيح .

(٢) سورة النساء آية : ١٤٨ .

الصحيح انه واجب ، فكيف بمن ظلم بمنع حقه الذى اتفق المسلمون على استحقاقه إياه ؟

أو يذكر ظالمه على وجه القصاص من غير عدوان ولا دخول فى كذب ولا ظلم الغير وترك ذلك أفضل .

منهـــا :

أن يكون على وجه النصيحة للمسلمين فى دينهم ودنياهم من الحديث الصحيح عن فاطمة بنت قيس لما استشارت النبى ﷺ من تنكح ؟ وقالت : إنه خطبنى معاوية وأبو جهم فقال : « أمّا معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء » .

وروى : « لا يضع عصاه عن عاتقه » [٣] فبين لها أن هذا فقير قد يعجز عن حقك وهذا يؤذيك بالضرب . وكان هذا نصحاً لها ــ وإن تضمن ذكر عيب الخاطب . وفى معنى هذا نصح الرجل فيمن يعامله ومن يوكله ويوصى إليه ومن يستشهده .

* * *

(٣) أخرجه الستة الا البخارى .

النصيحة للحكام والأمراء

بل ومن يتحاكم إليه . وأمثال ذلك وإذا كان هذا فى مصلحة خاصة فكيف بالنصح فيما يتعلق به حقوق عموم المسلمين من الأمراء والحكام والشهود والعمال أهل الديوان وغيرها ؟ فلا ريب أن النصح فى ذلك أعظم كما قال النبى ﷺ : « الدين النصيحة ، الدين النصيحة » قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1] وقد قالوا لعمر بن الخطاب : فى أهل الشورى أمر فلانا وفلاناً ، فجعل يذكر فى حق كل واحد من الستة ــ وهم أفضل الأمة ــ أمراً جعله مانعاً له من تعيينه .

* * *

حكم الجرح لرجال الحديث

وإذا كان النصح واجباً فى المصالح الدينية الخالصة

(١) رواه مسلم ــ كتاب الايمان باب أن بيان أن الدين من النصيحة (٢ / ٣٧) .

والعامة مثل نقلة الحديث الذين يغلطون أو يكذبون كما قال يحي بن سعيد : سألت مالكاً والثورى والليث بن سعد ــ أظنه ــ الأوزاعى عن الرجل يتهم فى الحديث أو لا يحفظ ؟ فقالوا : بيِّن أمره ، وقال بعضهم لأحمد بن حنبل : إنه يثقل على أن أقول فلان كذا وفلان كذا ، فقال : إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم .

* * *

حكم الجرح لمروجى البدع

ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل : الرجل يصوم ويصلى ويعتكف أحب إليك أو يتكلم فى أهل البدع ؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم فى أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل . فبين أن نفع هذا عام للمسلمين فى دينهم من جنس الجهاد فى سبيل الله ، إذ

تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغى هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء .

وقد قال النبى ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (1).

وذلك أن الله يقول فى كتابه :

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ (2)..

فأخبر أنه أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وانه أنزل الحديد كما ذكر . فقوام الدين بالكتاب الهادى ، والسيف الناصر :

---

(1) قال الألبانى فى غاية المرام فى تخريج احاديث الحلال والحرام ص ٢٣٨ رواه مسلم عن أبى هريرة (٨ / ١١) وابن ماجة (٤١٤٣) .

(2) سورة الحديد آية : ٢٥ .

﴿ **وكفى بربك هادياً ونصيراً** ﴾ [٣]..

والكتاب هو الأصل ولهذا أول ما بعث الله ورسوله أنزل عليه الكتاب ومكث بمكة لم يأمره بالسيف حتى هاجر وصار له أعوان على الجهاد .

* * *

التحذير من المنافقين

وأعداء الدين نوعان : الكفار والمنافقون وقد أمر الله نبيه بجهاد الطائفتين فى قوله تعالى :

﴿ **جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾ [١]..

فى آيتين من القرآن .

فإذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم تُبَيَّن للناس فسد أمر الكتاب ويُدِّل الدين ، كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذى لم ينكر على أهله .

---

(٣) سورة الفرقان آية : ٣١ .

(١) سورة التحريم آية : ٩ .

وإذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سماعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقاً وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين كما قال تعالى :

﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴾ (٢)..

فلابد أيضاً من بيان حال هؤلاء بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم فإن فيهم إيماناً يوجب موالاتهم .

وقد دخلوا فى بدع من بدع المنافقين التى تفسد الدين فلابد من التحذير من تلك البدع وان اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خير وأنها دين ولم يكن كذلك لوجب بيان حالها ، ولهذا وجب بيان حال من يغلط فى الحديث والرواية ومن يغلط فى الرأى والفتيا ومن يغلط فى الزهد والعبادة ، وإن كان المخطىء المجتهد مغفوراً له خطؤه ، وهو مأجور على اجتهاده ، فبيان القول والعمل الذى دل عليه الكتاب والسنة واجب وان كان فى ذلك مخالفة لقوله وعمله . ومن علم منه الإجتهاد السائغ فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له . فإن الله غفر له

---

(٢) سورة التوبة آية : ٤٧ .

خطأه بل يجب لما فيه من الإيمان والتقوى موالاته ومحبته والقيام بما أوجب الله من حقوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك وأن علم منه النفاق كما عرف نفاق جماعة على عهد رسول الله ﷺ مثل عبد الله بن أُبَّى وذويه [1]، وكما علم المسلمون نفاق سائر الرافضة عبد الله بن سبأ [2] وأمثاله مثل عبد القدوس بن الحجاج ومحمد بن سعيد المصلوب فهذا يذكر بالنفاق ، وان أعلن بالبدعة ولم يعلم هل كان منافقاً أو مؤمناً مخطئاً ذكر بما يعلم منه ، فلا يحل للرجل أن يقفو ما ليس له به علم ، ولا يحل له أن يتكلم فى هذا الباب إلا قاصداً بذلك وجه الله تعالى ، وأن تكون كلمة الله هى العليا ، وان يكون الدين كله لله ، فمن تكلم فى ذلك بغير علم أو بما يعلم خلافه كان آثماً وكذلك القاضى

---

(١) عبد الله بن أبى بن سلول : هو من بنى عوف بن الخزوج وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون وهو الذى قال « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » فى غزوة بنى المصطلق قال ابن اسحاق : وكان ممن تعوذ بالاسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود ــ من الروض الأنف للسهيلى شرح سيرة ابن هشام .

(٢) عبد الله بن سبأ بن السوداء : كان يهودياً من أهل صنعاء ثم أسلم لا رغبة فى الاسلام ولكن ليغر المسلمين باسلامه فيفسد أمورهم ويغرى بينهم الى ان حمل أهل مصر والشام على الاجتماع على قتل عثمان رضى الله عنه وكان هو وفرقته « السبئية » يقرون بالرجعة الى الدنيا بعد الموت وهو أول من قال بذلك وأبطل الأخرة وهو كاعتقاد الرافضة . انظر البرهان ص ٥٠ .

والشاهد والمفتى كما قال النبى ﷺ : « القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار وقاض فى الجنة : رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل علم الحق فقضى بخلاف ذلك فهو فى النار » [٣].

وقد قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً » [١].

واللى هو الكذب ، والإعراض كتمان الحق ومثله ما فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وان كذبا وكتما محقت بركة بيعهما » .

* * *

---

(٣) رواه الترمدى وأبو داودد وأبن ماجة

(١) سورة ـسـاء آية ١٣٥

شـــروط الغيبـــة

ثم القائل فى ذلك بعلم لابد له من حسن النية فلو تكلم بحق لقصد العلو فى الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذى يقاتل حمية ورياء .

وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين فى سبيل الله من ورثة الأنبياء خلفاء الرسل ، وليس هذا الباب مخالفاً لقوله : « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره » فإن الأخ هو المؤمن وأخا المؤمن إن كان صادقا فى إيمانه لم يكره ما قلته من هذا الحق الذى يحبه الله ورسوله وإن كان فيه شهادة عليه وعلى ذويه ، بل عليه أن يقوم بالقسط ويكون شاهداً لله ولو على نفسه أو والديه أو قريبه ، ومتى كره هذا الحق ناقصاً فى إيمانه ، ينقص من أخوته بقدر ما نقص من إيمانه ، فلم يعتبر كراهته من الجهة التى نقص منها إيمانه إذ كراهته لما يحبه الله ورسوله توجب تقديم محبة الله وروسوله كما قال تعالى :

﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ (٢)..

(٢) سورة التوبة آية : ٦٢ .

ثم قد يقال : هذا لم يدخل فى حديث الغيبة لفظاً ومعنى وقد يقال دخل فى ذلك الذين خص منه كما يخص العموم اللفظى والعموم المعنوى وسواء زال الحكم لزوال سببه أو لوجود مانعه فالحكم والنزاع فى ذلك يؤول إلى اللفظ إذ العلة قد يعنى بها التامة وقد يعنى بها المقتضية والله أعلم وأحكم .

وصلى الله على نبينا محمدا وآله وصحبه وسلم

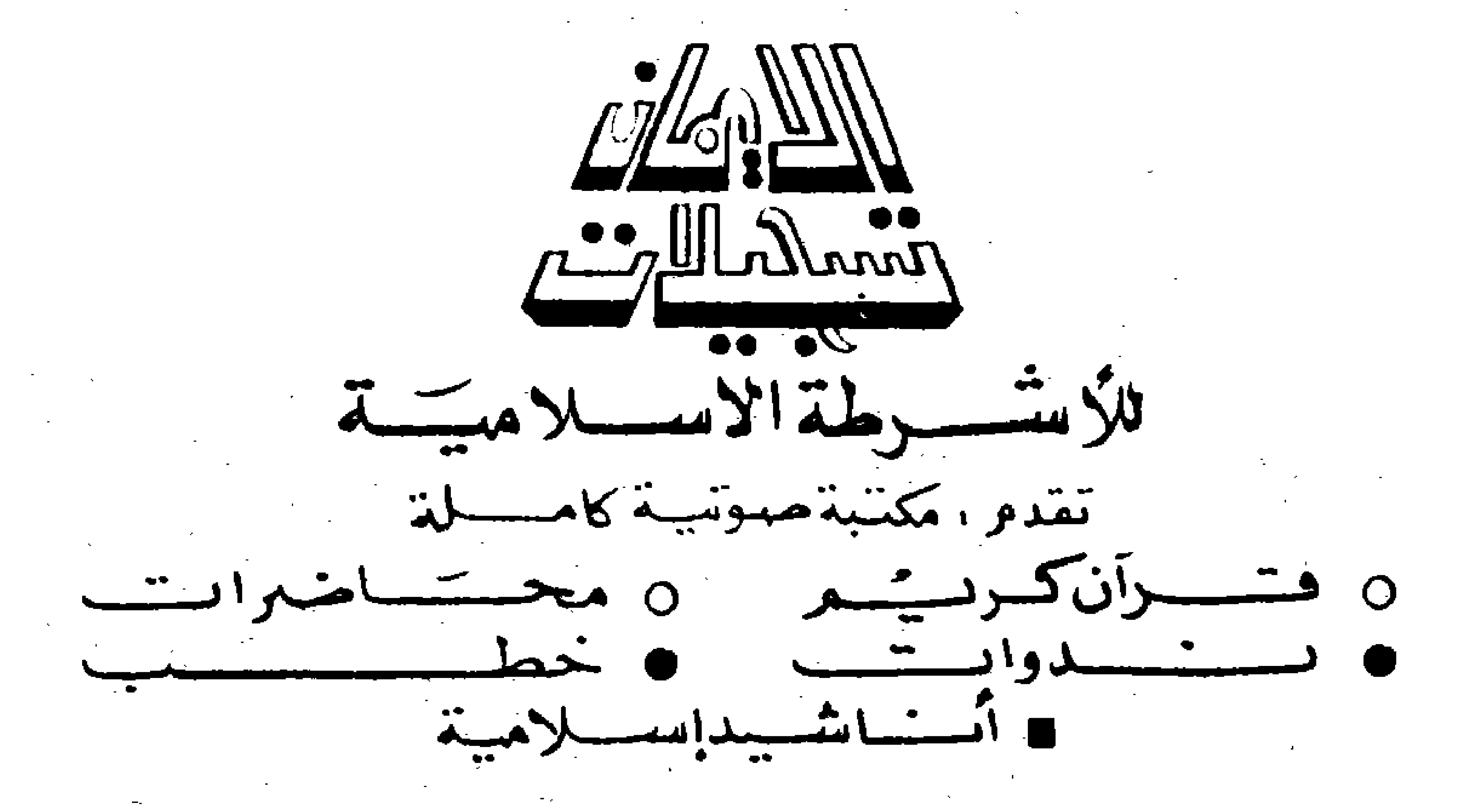
تم بحمد الله الانتهاء من إعداد هذه الرسالة الموافق

١٨ شعبان سنة ١٤٠٧ هـ

(الطبعة الأولى)

الفهرس

الصفحة



الإيمان
تسجيلات
للأشرطة الإسلامية
تقدم ، مكتبة صوتية كاملة
○ قرآن كريم ○ محاضرات
● ندوات ● خطب
■ أناشيد إسلامية